ذكرتُ بغداد

بَغْـدَادَ هَـارُونَ ! وَالأمْجَـادُ شَـامِخَـةٌ
تَـزْهُـو، وَظِلُّكِ فِي المَعْمُـورِ مَمْـدُودُ
كَأنَّمَـا اسمُكِ فِـي الأسْمَـاعِ أُغْنِيَـةٌ
أوْ أنَّـهُ فِي فَمِ الـدُّنْيَـا أغَـارِيـدُ
أيَّـامُـكِ البِيضُ أقْمَـارٌ مُنَـوِّرَةٌ
لِلنَّصْـرِ فِيهَـا إذَا عُـدَّتْ مَـوَاعِيـدُ
بَغْـدَادَ هَـارُونَ ! وَالإسْـلاَمُ فِـي صُعُـدٍ
وَالعِـزُّ فَـوْقَ نَـوَاصِي العُـرْبِ مَعْقُـودُ
وَأنْتِ جَـوْهَـرَةٌ فِي الشَّـرْقِ غَـالِيَـةٌ
وَمَنْهَلٌ كَـوْثَـرِيُّ النَّبْعِ مَـوْرُودُ
لَمْ يُلِـهِ مَنْ وَهَبُـوا لِلْعِلْـمِ أنْفُسَهُمُ
فِي ظِـلِّ مَجْـدِكِ غَـادَاتٌ وَلاَ عُـودُ !
حَضَـارَةٌ شَيَّـدَتْ بِـالعِلْمِ دَوْلَتَهَـا
وَلَمْ يُشَـرَّعْ بِهَـا لِلْعَقْلِ تَقْيِيـدُ
تَعَـانَقَ الـدِينُ وَالـدُّنْيَـا بِهَـا حِقَبـاً
وَدَبَّ فِي دَمِهَـا خَلْقٌ وَتَجْـدِيـدُ
أنْسَـامُ دِجْلَـةَ فِي آصَـالِهَـا عَبَقٌ
تَهْفُـو إلَى نَفْحِـهِ السَّـارِي المَعَـامِيـدُ

كَأنَّ زِرْيَـابَ فِي النَّيْـرُوز يُنْشِـدُهَـا
أَلْحَـانَـهُ، وَفَمُ الـدُّنْيَـا زَغَـارِيـدُ !
كَمْ صَـدَّتِ الـرُّوحَ عَنْهَـا وَهِيَ شَـامِخَـةٌ
وَذَادَ عَنِ عِـزِّهَـا غُـرٌّ صَنَـادِيـدُ !
حَتَّى استَبَـاحَ هُـولاَكُـو قُـدْسَهَـا وَعَثَـا
فِيهَـا وَحَلَّتْ بِهَـا أَيَّـامُـهُ السُّـودُ !
وَغَـابَ عَنْهَـا بَنُـو العَبَّـاسِ وَانْطَـرَدُوا
وَلَمْ يَكُنْ مِثْـلَـهُم فِي الأَرْضِ مَطْـرُودُ !
كَأنَّمَـا لَمْ يَكُـونُـوا دَوْلَـةً حَكَمَتْ
أَقْـوَى الشُّعُـوبِ فَقَـادُوهَـا وَمَـا اقتِيـدُوا

* ● *

ذَكَـرْتُ بَغْـدَادَ وَالأَهْـوَالُ كَـالِحَـةٌ
كَأنَّهَـا قَـدَرٌ لِلْعُـرْبِ مَـرْصُـودُ
لَمْ يُجِـدِ فِي لَمِّهَـا مَـا شِيـدَ مِن قِمَمٍ
وَلَمْ يُفِـدِ فِي التِحَـامِ الصَّفِ مَجْهُـودُ
وَلاَ اسْتَقَـامَ لَهَـا أَمْـرٌ يُـؤرقُهَـا
وَلَمْ يُحَقِّـق لَهَـا بِـالْخُلْفِ مَقْصُـودُ
مَا الدِينُ مَا الضَّـادُ مَا القُرْبَى إِذَا عَجَزَت
عَنْ جَمْعِنَـا وَهِيَ فِي الجَمْعِ الأَسَـانِيـدُ !

كَأنَّ مَـــا بَيْـنَ أهْلِينَـــا وَإخْـــوَتِنَـــا
بَـــابٌ، بِكُلِّ مُغَـــارِ الفَتْلِ مَسْـــدُودُ !
كَمْ مِـنْ بَشَـــائِرَ هَلَّلْنَـــا لِطَلْعَتِهَـــا
كَأنَّهَـــا بَعْـــدَ طُـــولِ العُقْمِ مَـــوْلُـــودُ !
كَـــانَتْ كَبَـــارِقَـــةٍ مَـــرَّتْ بِـــلاَ مَطَـــرٍ
لَمْ تُـــرْوَ مِن وَبْلِهَـــا وَاحٌ وَلاَ بِيـــدُ
مَـــا كَـــانَ لِلشّـــرْقِ أنْ يَنْسَى قَيَـــادَتَـــهُ
لِلْغَـــرْبِ وَهُـــوَ أسِيـــرُ الجَهْلِ مَصْفُـــودُ
وَلَيْـسَ يُعْقَلُ أنْ يَبْقَـى لَـــــهُ ذَنْبـــــاً
يُخِيفُـــهُ مِنْـــهُ إنْـــذَارٌ وَتَهْـــدِيـــدُ
يَحْيَـــا عَلَى صَـدَقَـــاتِ الغَـرْبِ مُعْتَمِـــداً
وَلَيْسَ فِـي طَبْعِـــــهِ نُبْلٌ وَلاَ جُـــــودُ
يَـــا أُمّـــةَ العُـــرْبِ كَـــادَ اليَأسُ يَقْتُلُنَـــا
وَالصّبْـــرُ لاَشَكَّ مَحْمُـــودٌ وَمَحْـــدُودُ
خَيْـــرَاتُ أرْضِكِ قَـدَ عَـــادَتْ مَنَـاجِمُهَـــا
مَـوْتـــاً، وَمِن حَـوْلِهَـا حِقْـدٌ وَبَـارُودُ !
وَفِـي بَنِيكَ رِجَـــــالٌ لاَيُـــــرَوِّعُهُـم
هَـوْلٌ مَسَـــاعِيـرُ فِي الهَيْجَـــا إذَا نُـودُوا
لاَتَقْتُلِي أمَـــــلاً مَـــــازَالَ يُنْعِشُنَـــــا
بِطَيْفِـــهِ فَصَـــرِيـعُ اليَأسِ مَفْقُـــودُ !